مقدمة

كل ما نقوله في هذه المحاضرات الهدف منها أن نزيد من معرفتنا بكيفية التعامل الصحيح مع كتاب الله سبحانه وتعالى

إعجاز القرآن.

القرآن الكريم أعجز العرب عن معارضته، ولم يستطع أحد منذ نزل إلى اليوم أن يعارضه ويأتي بمثله.والعجيب أنه لم يُحفظ لنا في كُتب التفسير، أو في كُتب التاريخ، أو في كُتب السيرة، أن أحدا من الذين نزل عليهم القرآن الكريم قال: هذه الآية لم أفهمها، وهي غير مفهومة وغير واضحة.

فلو كانت قريش لم تفهم القرآن الكريم لكان أفضل شيء تطعن في القرآن الكريم به أنها لم تفهمه.

كما قال قوم شعيب، قالوا: ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ﴾

أما مع النبي ﷺ فلم يحفظ لنا التاريخ أن أحدا من المشركين قال هذه الكلمة، فهموه، ما فهموه فقط، ذهلوا من بلاغته، ومن فصاحته، ومن أسلوبه، بشكل جعل كبار عتاولتهم يستسلمون لبلاغته

قال الوليد بن المغيرة: "والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه"

فالوليد بن المغيرة في هذا الكلام، مدح القرآن مدحًا ما تجده لأحد، ولكن بعدما ضغطوا عليه جماعته وقريش، وقالوا: أنت شيخ القبيلة، ولا يمكن أن تقول، لا بد أن تقول في القرآن قولًا يزهد الناس فيه، فهو فكر، كما قال الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر 18-26].

يقول الوليد بن المغيرة لقريش : ما دام أنكم مصرون على أنْ أقولَ فيه كلمة، فأفضل شيء أن أقوله في القرآن إنه سحر ، لأنه يُفرق بين المرء وزوجه، فكثير من أُسَر قريش أسلم الأب فتفرق مع أبنائه، أو أسلم الابن فطرده والده ، أما أن نقول كهانة ، فما نستطيع لأننا نعرف كلام الكهان، وتمتمات الكهان، كلام هراء. ولا نقدر أن نقول إنه شعر؛ لأن الشعر معروف، له بحور، وله قوافٍ، نحن نعرف الشعر

دليل ينفي الشعر عن القرآن:

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة 40-42]

سؤال

لماذا قال الله في السورة هنا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ؟

الجواب

قال الله ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ لأن الشعر معروف عندهم، فأي واحد من العرب يستطيع أن يقول لك: هذا يختلف عن الشعر، الشعر معروف عندنا، فأي واحد يستطيع أن يُفرق بينه وبين القرآن، ولذلك الذي يُنكر ويقول: إن القرآن مثل الشعر، هذا إنسان مصر على الكفر، ولذلك قال الله: ﴿قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ أنتم معاندون، مع ظهور الفرق بينه وبين الشعر تكذبون وتقولون أنه شعر، إذن أنتم مصرون على الكفر.

وأما قوله: ﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

قالوا: لأن الكهانة ليس كل أحد يعرفها، يحتاج إلى تأمل حتى تفرق بينه وبين الكهانة وكلام الكهان إلى معرفة وتدقيق وتذكر وتأكد

فالوليد بن المغيرة عرف فصاحة القرآن وأدركها، وعُتبة بن ربيعة من زعماء قريش أدرك فصاحة القرآن وبلاغته، وأبو سفيان أدرك فصاحة القرآن وبلاغته، والأخنس بن شُريك ، وغيرهم من زعماء قريش.

فهذه من الخصائص التي اختصت بها رسالة النبي ﷺ، واختص بها القرآن الكريم دون سائر المعجزات التي سبقته، فكانت تأتي المعجزة شيء، والشريعة شيء مختلف.

مثلًا: موسى -عليه الصلاة والسلام- جاء إلى فرعون، وجاء إلى بني إسرائيل بالرسالة، فجاء لهم بمعجزة، أول شيء يُثبت بها أنه نبي، فكانت هذه المعجزة هي العصا، واليد، قال: ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى﴾ [النازعات: 20] الآية الكبرى هي العصا، قال: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ [النازعات: 21] فلما استقر له الأمر أنزل الله عليه التوراة. التوراة قال فيها الشريعة.وأما المعجزة فهي معجزة مستقلة، العصا فقط،

- ما هو الفرق بين معجزة النبي ﷺ وهي القرآن، وبين الإعجاز في الأمم الأخرى؟

معجزة النبي ﷺ وهي القرآن الكريم، هي المعجزة الكبرى، هي نفسها معجزة وقع بها التحدي كما وقع بعصا موسى.

- موسى -عليه الصلاة والسلام- تحداهم بالعصا، وجاء لهم بالتوراة شريعة.
- الرسول ﷺ ، تحداهم بالقرآن والشريعة في القرآن

فمعجزة النبي ﷺ هي معجزة خالدة، فكما سمعها أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- سمعها كل الناس الآن، فأنت الآن عندما تقرأ القرآن الكريم؛ فأنت تقرأ المعجزة التي أعجزت الوليد بن المغيرة وكل العرب، وهذه يسمونها معجزة عقلية، وليست معجزة حسية.

المعجزة الحسية: هي المعجزة التي اقتصر أثرها والحجة بها على مَن شاهدها

مثال ذلك: موسى -عليه الصلاة والسلام- كان فطنًا عندما قال لفرعون: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: 59] فاختار الضحى حتى يرى الناس، فقال: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾، يجتمع الناس فيه من كل مكان، ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾، يعني يجمع لي الناس في وقت الظهيرة، وقت الضحى، حتى إذا ألقيت العصا، كل الناس يشاهدون هذه المعجزة الحسية.

- هل تقسيم المعجزة إلى معجزة حسية و معجزة عقلية، لها نوع ارتباط بعموم رسالة النبي؟.

لا شك في ذلك ، فالنبي ﷺ قال ذلك، قال: ﴿ما من نبي من الأنبياء إلا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وكان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة﴾

شرح معنى الحديث

يقول الرسول ﷺ ما من نبي من الأنبياء أرسله الله إلا وأعطاه معجزة يتحدى بها قومه، فلا يستطيعون الإتيان بمثلها، فتكون حجة عليهم

تعريف المعجزة

المعجزة هي: الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة، يُظهره الله -سبحانه وتعالى- على يد نبي من الأنبياء موافقا لما ادعاه.

سالما من المعارضة: ما أحد يقدر يجيء بمثله.

شرح بعض مفردات التعريف في هذه الأمثلة:

1) أن تكون خارقة للعادة.

أمثلة

أولا: إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- عندما أُلقي في النار، النار في العادة أنها تُحرق مَن يقع فيها، لكن لما أُلقي في النار بدل ما يحترق، ما حصل له شيء، قال الله -سبحانه وتعالى- ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]، هذه معجزة.

ثانيا: العصا، فالعادة ألا تتحول العصا إلى حية ، لكن الله -سبحانه وتعالى- خرق هذه العادة وأصبحت عصا موسى تتحول إلى ثُعبان مُبين، وحية تسعى، وليست مجرد خيال، وإنما حقيقة.

- الساحر والكاهن قد يأتوا بشيء خارق للعادة فكيف نفرق بين فعلهم والمعجزة ؟

ادعاء النبوة هو الفرق فنحن نقول يُظهر الله على يد من يدعي النبوة. فلا يستطيع الكاهن والساحر أن يدعي النبوة

فهو لم يدَّعِ ذلك لأنه ليس هناك في التاريخ ساحر، ادعي النبوة

2) أن تأتي وفق مايدعيه ويظهره الله على يد نبي

مثال: مسيلمة الكذاب عندما ادعى النبوة

قالوا له يا مسيلمة ائت لنا بمعجزة! فهو جاء بقرآن سماه "قرآن مسيلمة"

قال: أنت نزل عليك يا محمد وحي، أنا نزل علي وحي أيضًا، فلما قال له عمرو بن العاص: نزل على محمد قول الله تعالى ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً * فَالْحَامِلاتِ وَقْراً * فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾

قال مسيلمة: نزل علي: "والزارعات زرعا، فالحاصدات حصدًا، فالطاحنات طحنا، فالعاجنات عجنا"

ضحك عمرو بن العاص لما سمع هذه السخافة، وقال: يا مسيلمة، والله إنك تعلم أنني أعلم أنك كاذب.

فجاؤوا لمسيلمة ويريدون أن يختبروه في معجزاته، فجاؤوا إلى بئرٍ عندهم في بني حنفية نضب ماؤها، يعني ما عاد فيه إلا ماء قليل

فقالوا له: محمد بصق في بئر نضب ماؤها؛ فكُثر ماؤها، نريد منك يا مسيلمة أن تفعل ذلك في هذه البئر التي نضب ماؤها، نريد أن نشرب.

قال: بسيطة، وجاء مسيلمة وبصق في البئر، كان بها قليل من الماء، فلما بصق فيها ذهب الماء الذي كان فيها.

الشاهد: أنها جاءت بخلاف ما يدَّعي

فنحن نقول في المعجزةِ: أن تكون على وَفق ما يدعيه النبي

* بعض المعجزات الحسية

- الرسول ﷺ بصق في البئر فزاد ماؤها
- غسل يده في الإناء فَتَكَاثَرَ ماؤه
- مسح بيده عين الصحابي الذي فُقئت عينه وذهبت في المعركة فرجعت أقوى من الأخرى.
- كان النبي ﷺ يومًا يخطب على جذع، فجاءت امرأة من الأنصار، وكان ابنها نجارا، قالت: يا رسول الله أريد أن أصنع لك منبرا، فأمرت ابنها فسوَّى منبرًا للرسولِ ﷺ فلمَّا وَضَعَ النبي ﷺ هذا المنبر وصعد عليه سمع حنين الجذع يَبكي كما يَبكي الرجل، والصحابة كلهم موجودون ، ولم يسكت بكاء هذا الجذع حتى نزل النبي ﷺ إليه وضمه.
- جاء رجل إلى النبي ﷺ في سفر، والنبي ﷺ قد نام تحت شجرة وعلق سيفه، فجاء هذا الرجل من المشركين وأخذ سيف النبي ﷺ وقال: يا محمد من يحميك مني، سأقتلك. قال: يحميني منك الله، فسقط السيف من يده، وأصيب بالرعب، هذا من حفظ الله للنبي ﷺ وهو من معجزاته الحسية.
- كان النبي ﷺ يومًا في سفر فدعا رجلًا إلى الإسلام، فقال الرجل: لا أسلم إلا إذا جاءت هذه الشجرة إلى عندك هنا وأسلمت، ثم أسلم بعد ذلك. فهو قال هذا على سبيل التحدي فدعا النبي ﷺ الشجرة فجاءت إليه، وسلمت عليه ، فقال النبي ﷺ للشجرة: مَن أنا؟ قالت: أنت رسول الله. فذُهش الرجل.
- كان النبي في سفر مع أصحابه فانتهى الماء، فلما جاء بماء قليل دعا النبي ﷺ فبارك الله في هذا الماء.
- عندما دخل الصحابة –رضي الله عنهم– في منزل أحد الصحابة وهو فقير، كان ما عنده إلا إناء صغير فيه طعام، فجاء النبي ﷺ بعدد هائل من الصحابة، وقال: كلوا، حتى شبعوا جميعًا، ولم تنتهِ، ثم قال لأهل البيت: كلوا.

الشاهد: أن النبي ﷺ معجزاته الحسية كثيرة، لكن معجزة القرآن هي المعجزة الكبرى.

سؤال

ثبت للنبي ﷺ معجزات حسية كثيرة، فما سر في انشغال كثير من العلماء بالمعجزة القرآنية؟

الجواب

أولًا: هل رأيت أنت الشجرة التي تحركت؟ ما رأيتها أنا ولا أنت. هل سمعت حنين الجزع؟ ما سمعته، لكننا نحفظ القرآن ونعرفه، فهذا لأنه المعجزة الخالدة.

أقول: معجزات الأنبياء السابقين معجزات حسية، عيسى -عليه الصلاة والسلام- كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، هذه معجزات ما هي بالسهلة، لكن ما تقوم إلا على مَن رآها وشاهدها، لكن اليوم عندما نقرأ القرآن الكريم ونتدبر فيه ونتعلمه وندرس إعجازه نزيد قناعة بصدق النبي ﷺ؛ لأن هذه المعجزة باقية، وهي معجزة عقلية ، ولذلك كثير ممن يدخل الإسلام حتى اليوم يدخلونه بسبب القرآن، لا هو بسبب إعجاز علمي ولا شيء، بسبب قراءتهم للقرآن فقط، يرون فيه إعجازًا في معانيه، وفي تشريعه، وفي دلالاته، وفي بلاغته .

✸ مسألة تحدي الله سبحانه وتعالى العرب في القرآن الكريم

الله -سبحانه وتعالى- تحدى العرب في القرآن الكريم، تحداهم -عربا وعجما- أن يأتوا بمثل القرآن في مواضع كثيرة، فتحداهم أن يأتوا بمثل القرآن، قال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: 34] ، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله، تحداهم في سورة الإسراء، ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88].

العلماء قالوا: بمثله في بلاغته وفي بيانه؛ لأن هذا هو الشيء الذي كل العرب يُتقنونه في زمان نزول الوحي، ولم يتحداهم الله -سبحانه وتعالى- بما يُسميه العلماء "الإعجاز العلمي"؛ لأنه لم يكنْ في معرفتهم في ذاك الوقت، وأنت لا تتحدى أحدًا بما لا يملك.

فالله قد أقام الحجة في إعجاز القرآن الكريم عل مَن نزل القرآن فيهم، وهم أفصح طبقات العرب، فعجزوا عن الإتيان بمثله، فعجز مَن دونهم أولى، هم حجة، فعجز الطبقة التي نزل فيها القرآن عن المعارضة يكفي لإقامة الحجة.

✸ مسألة

العرب عندما نزل عليها القرآن الكريم فهمته، ولم تستطع أن تأتي بمثله، ونظرت في هذا الكلام الذي جاء به القرآن الكريم، فإذا هو مختلف، ليس كالشعر الذي يعرفونه، وليس كالخطب التي يتقنونها، وليس ككلامهم العادي ، وأيضًا كلام النبي ﷺ كان مختلفًا.

فمُحمد ﷺ قبل الوحي ما كان شيئًا مذكورًا، لا كان يُحفظ له خطب، ولا كان يُحفظ له بلاغة، ولا كان يُحفظ له مساهمة فاعلة، ما كان زعيم من زعماء قريش أبدًا

كان زعماء قريش وأعمامه، وعمه أبو طالب موجودا، وعمه العباس بن عبد المطلب موجودا، وأبو لهب موجودا، وأبو جهل موجودا، وأبو سفيان، كانوا كلهم موجودين، فالنبي ﷺ كان من طبقة أبنائهم، ولم يكن ذا شأن، وهذا أيضًا من أدلة إعجاز القرآن الكريم، وأدلة صدق النبي ﷺ النبي ما كان متعلمًا، لم يكن يقرأ، ولا كان يكتب، ولم يكن له حضور ثقافي ما كان يحفظ الشعر، لأنه لو كان حافظًا للشعر ومثقفا ويقرأ ويكتب، لقالوا: هذا جاء بها من هنا أو من هنا.

فلما نزل عليه الوحي أصبح شخصية مختلفة تمامًا، حتى هو ﷺ في البداية خاف خوفا شديدا، ولذلك رجع إلى خديجة -رضي الله عنها- وهو يرتجف، فهذا موقف مخيف، لما لقي جبريل -عليه الصلاة والسلام-، ولذلك الله -سبحانه وتعالى- هدأ من روعه، وجبريل هدأ من روعه، وقال الله -سبحانه وتعالى- له: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة 16-19]

ثم لم يزل الوحي يتتابع شيئًا فشيئًا، والنبي ﷺ يتعود على تلقيه وعلى بلاغه.

فقريش لما جاء النبي ﷺ وتلا عليهم القرآن، في الحقيقة كان يُمارس عليهم ضغط ما تتصورونه، لأنهم متعودين على الشعر الفصيح وعلى الخطب،

فكل الكلام الذي يسمعونه، يسمعونه من نفس مستواهم،

هذا الخطاب الذي جاء به النبي ﷺ وهو القرآن الكريم مختلف تمامًا، هذا ليس من نفس المستوى الذي كانوا يألفونه، هذا من مستوى أعلى، يتكلم بكلام ما يمكن أن يقوله بشر.

مثلًا:

هل أحد يستطيع أن يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ﴾ [الأنعام: 95]

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: 41]

ما يمكن أن واحد يأتي بهذا

فأشعار العرب ما يتكلمون عن هذه الأشياء، كل شعرهم فخر وفي الغزل، وكلام في وصف الخمر. كلام في الحكمة.

لكن كلام في الغيب في يوم القيامة، كلام في الغيب الماضي قبل الخلق، هذا ما يعرفونه العرب، هذه أشياء جديدة ، هذه أشياء ما كانت تُطرقها خطبهم ولا أشعارهم، ولا يألفونها، ولا يعرفونها أبدًا.

نقول: المستوى الذي جاء به القرآن الكريم مستوى بلاغي، وما يسمونه في الدراسات التداولية "إستراتيجية الخطاب"، أن الله -سبحانه وتعالى- تكلم بكلام أدركه العرب، فهموه، لكن هذا إله الذي يتكلم، ما هو بشر، فلو تقرأ القرآن الكريم من أوله لآخره، فلن تستطيع أن تستكشف أن من ورائه شخصية بشرية أبدًا.

مثال على ذلك : ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾

فرعون يستحق أن تقول له قولًا لينًا، لو كان بشرا يتعامل مع بشر كان قال: اذهبا إلى فرعون فافعلا به وافعلا.

✸ الإعجاز في التاريخ:

في عهد النبي ﷺ لم يكن هناك شيء اسمه إعجاز، مصطلح "إعجاز" و "معجزة" ما كان معروفا.

كانت نزلت في القرآن سماها الله "بينات"، "برهانا"، "سلطانا"، "آية"، ليس هناك شيء اسمه معجزة.

لكن في عهد النبي ﷺ جاء التحدي لقريش وللعرب، ولكافة مَن يسمع القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: 88]، ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: 13]، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: 23] ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [البقرة: 24]، هذه آيات التحدي كلها، ولم يستطع أحد أن يأتي بمثل هذا القرآن.

➢ متى ظهر مصطلح الإعجاز؟

لما تُوفي النبي ﷺ والصحابة والتابعين، الحقيقة ما ظهر شيء اسمه "إعجاز القرآن"، ما في كلام عن إعجاز القرآن، لما جاء القرن الثاني وبداية الثالث بدأ الزنادقة وبدأ المعارضون للقرآن الكريم يطعنون في القرآن، ويقولون: القرآن فيه تناقض، القرآن الكريم فيه أخطاء، فبدأ العلماء يدافعون عن القرآن ويردون على هذه الطعون وينتصرون للقرآن، ويبينون ما سموه بإعجاز القرآن الكريم، أوجه إعجاز القرآن الكريم، فتكلموا وكتبوا فيه.

على سبيل المثال لمن كتب في الإعجاز:

- كتاب الجاحظ بعنوان "نظْم القرآن الكريم"، هذا من الكتب المفقودة، انتصر فيه لإعجاز القرآن الكريم، والجاحظ متوفى 238.
- كتاب للرُّمَّاني، اسمه أيضًا "إعجاز القرآن"
- كتاب "بيان إعجاز القرآن" للخطابي، متوفى سنة 384.
- كتاب قيم جدًّا اسمه "إعجاز القرآن" للقاضي أبي بكر الباقلاني الأشعري، متوفى 403، كتاب ثمين جدًّا من كتب إعجاز القرآن.

- عبد القاهر الجرجاني، وهو من أجود مَن كَتب في إعجاز القرآن، كتب رسالة "الشافية في إعجاز القرآن" تكلم فيها عن وجه إعجاز القرآن البلاغي والبياني.ثم كتب في كتابه "دلائل الإعجاز" ما سماه بنظرية النظم، وأن إعجاز القرآن في نظمه وفي بلاغته.
- جاء الزمخشري بعد الجرجاني فصنف كتاب "الكشاف" فيه ميزة أنه من أفضل من تكلم عن بلاغة القرآن وإعجازه، وطبقها في كتابه.

ثم كثرت المؤلفات بعد ذلك في إعجاز القرآن، بيان إعجاز القرآن البلاغي، إعجاز القرآن التشريعي، إعجاز القرآن الغيبي، وكيف أنها تكلم عن الغيب الماضي، والغيب المستقبل، فلم يقع شيء من ذلك بخلاف ما ذكره الله -سبحانه وتعالى-.

- هل يصح قول الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم؟

الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم المقصود به تناسق التشريعات في القرآن الكريم، وعدم اختلافهم، يسمونه إعجازا تشريعيًّا .

والحقيقة أنا لا أرى جواز وصحة إطلاق كلمة "إعجاز" إلا على الوجه البلاغي والبياني فقط، لأن الإعجاز معناه التحدي، والتحدي لم يقع إلا من هذا الوجه.

لكن يمكن نسمي بقية الصور: "دلائل صدق القرآن الكريم والتشريع في القرآن"، "دلائل صدق القرآن الكريم في البيان العلمي" الذي مثل السنن العلمية التي تأتي فيه، فهذه يمكن أن نسميها "دلائل صدق القرآن"، أما أن نسميها إعجازا؛ فهذا فيه نوع من المجازفة، وفيه نوع من نقم مصطلح "الإعجاز" نفسه.

- هل كل ما لم يقع به التحدي ليس إعجازا؟

هذا الذي يبدو لي -والله أعلم-، حتى ينضبط معك مصطلح "الإعجاز"، لأنك عندما تقول "إعجاز" معناه فيه تحدي، والتحدي لم يقع إلا بشيء يتقنونه، وهو البلاغة والبيان، وما سوى ذلك لا نسميه إعجازًا، وإنما نسميه "دلائل صدق القرآن"

- فكرة عن مؤلَّف في إعجاز القرآن الكريم

هناك مَن ألَّف في إعجاز القرآن من كتب علوم القرآن، وهي كثير ة جدًّا، من آخرها كتاب "معترك الأقران في إعجاز القرآن" للسيوطي

أما المعاصرون فقد انفتح الباب بشكل ما تتصورونه في هذا الموضوع

تكلم الزرقاني -رحمه الله- وتكلم عن أربعة عشر وجها من أوجه إعجاز القرآن.

- الوجه الأول: إعجازه في لغته وأسلوبه.
- الوجه الثاني:إعجازه في طريقة تأليفه.
- الوجه الثالث: إعجازه في علومه ومعارفه.
- الوجه الرابع: إعجازه في وفائه في حاجات البشر.
- الوجه الخامس: إعجازه في موقف القرآن من العلوم الكونية، يعني هو الإعجاز العلمي تقريبًا.
- الوجه السادس: سياسته في الإصلاح.
- الوجه السابع:أنباء الغيب في القرآن.
- الوجه الثامن: آيات العتاب في القرآن.
- الوجه التاسع: ما نزل بعد طول انتظار.
- الوجه العاشر: مظهر النبي عند هبوط الوحي.
- الوجه الحادي عشر:آية المباهلة.

❖ الوجه الثاني عشر: عجز الرسول عن الإتيان ببدل له.

❖ الوجه الثانث عشر:الآيات التي تجرد الرسول من نسبتها إليه.

❖ الوجه الرابع عشر: تأثير القرآن ونجاحه.

✸ تقسيمات لمن يكتبون الآن في إعجاز القرآن

الذين يكتبون الآن في إعجاز القرآن ؛ يقسمونه فيقولون:

❖ الإعجاز التشريعي:يركزون على الجوانب التشريعية.

المقصود به دراسة الآيات التشريعية الفقهية، مثل آيات الأحكام، وسوف يتضح لك التناسق العجيب في تشريعات القرآن الكريم، هذا ما عندنا فيه أي شك، لا يوجد بينها تناقض، لا يوجد بينها اضطراب.

❖ الإعجاز العددي في القرآن الكريم:

❖ الإعجاز البلاغي والبياني: فهذا لا شك فيه، وهو واضح، والكتب كثيرة، ولا أحد يناقش فيه

تقول: نحن اليوم لا ندركه، هذا خطأ فينا وتقصير، نحن نتعلم البلاغة والبيان حتى نُدركه، وهذا ممكن وسهل. ومن أجود ما يعين على دراسة الإعجاز البلاغي هو دراسة لغة العرب القديمة ، الشعر الجاهلي وما يتعلق به، كلما أتقنته انعكس ذلك على معرفتك بلغة القرآن.

❖ الإعجاز الغيبي: المقصود به ما ذكر الله في القرآن الكريم من الغيب، سواء كان غيبًا ماضيًا، أو غيبًا مستقبلًا، هذا أيضًا من أوجه إعجازه لا شك، لا أحد يستطيع أن يتكلم بهذا الكلام

ولذلك الله يقول: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: 51]

وقال: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44]

وقال:﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49] .

❖ الإعجاز العلمي:يركزون على الآيات التي فيها جوانب ما يسمونه التفسير بمكتشفات العلم التجريبي، هذا فيه حق وباطل

فالإعجاز العلمي هو الذي تناول الآيات التي وردت فيها إشارة إلى قضايا علمية مثل الفلك،

مثلًا يأتي اليوم مَن يقول ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: 125]

قالوا: هذا فيها إعجاز علمي، لأنه ثبت علميًّا الآن، أن الإنسان يقل الأكسجين كلما صعد في الجو.

تنبيه مهم

لا تربط هذه الآيات بهذه النظريات العلمية ، لأن فعلك هذا خطير جدًّا

لأنه إذا كانت هذه النظريات سواء كانت نظريات في الفلك، أو في الجيولوجيا، أو في علم البحار، أو في علم الأجنة ليست إلا مجرد نظريات لم تَثبت عمليًّا، فإنك تعرض القرآن الكريم للاستهزاء والعبث به.

مثال لذلك: يقول الله -سبحانه وتعالى- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30]

جاء مجموعة من الجيولوجيين، أظنهم سويسريين، فوضعوا نظرية سموها "نظرية الانفجار العظيم"، أن الكرة الأرضية كانت والسماوات كانت قطعة واحدة، ثم انفجر، حصلت في مرحلة من مراحل التاريخ انفجرت، وانفك هذان القطبان عن بعضهما، يسمونها "نظرية الانفجار العظيم".

جاء أحد الباحثين وتحمس لهذه النظرية، وقال: هذه هي التي أشار الله إليها بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً﴾ يعني ملتصقة ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾

جاءت بعد مدة هذه الجمعية التي قالت بهذه النظرية، وتراجعت عن هذه النظرية، وقالت: نحن بعد دراسات ثبت لنا أن هذه النظرية غير صحيحة، فهذا فيه نوع من المجازفة

- هل لو قلنا بأن هذا تفسير للنظرية بالقرآن هل يصح ذلك؟

إذا كان القول الذي سوف تأتي به من الإعجاز العلمي لا يتعارض مع أقوال المفسرين، وينسجم مع لغة الآية، فليس هناك إشكال.

لكن عندما تأتي أنت فتبطل أقوال السلف، وتقول هذا الإعجاز هو الذي ينسجم مع روح العصر، هذا تفسير ابن عباس تفسير ما له أي تأثير!! هنا نقول: هنا الخطر، ثم تأتي فوق ذلك تقول بنظرية لم تثبت

مثلًا: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن19،20]

الآن وصلوا للتجربة، وجدوا أن البحر المالح والماء العذب لا تخلط مع بعضها البعض، لو لوَّنت ماء البحر بأحمر ووضعت الماء العذب بأي لو آخر، ضعها مع بعض، لا تختلط، ويظهر بينها حاجز، تقول: والله هذا الحاجز الذي قصده الله.

أقول: أصلًا تفسير السلف، وتفسير العلماء لا يختلف مع هذا المعنى، وما دام ثبت وظهر، فليس هناك مشكلة، لكن عندما تأتي فتحمل القرآن على نظريات، هنا المجازفة.